ضوابط منهجية لدراسة وجوه إعجاز القرآن الكريم

إعداد:

الدكتور فرج حمد الزبيدي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال – الأردن

الدكتور عبد الرزاق أحمد رجب

الأستاذ المساعد بقسم أصول الدين

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك – الأردن

الدكتور نيبال محمد العتوم

الأستاذ المساعد بقسم الفقه وأصوله

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك – الأردن

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى ضبط ظاهرة الفوضى التأليفية الحديثة في مجال إعجاز القرآن؛ حيث أدّت إلى قول البعض بوجوه إعجازية ضعيفة الصلة بالقرآن الكريم؛ وذلك من خلال استنباط ضوابط منهجية تساعد في الحدّ من الظاهرة المذكورة، بالاعتماد على منهج الاستقراء والاستنباط. وخلصت الدراسة إلى عدّة نتائج، أهمها: ضرورة أن يكون وجه الإعجاز المعتبر نابعًا من ذات القرآن وعامّا ومتحدى به، ضرورة الفصل بين الأدلة على أنّ القرآن معجز والأدلة التي تضمنها القرآن الكريم وتفيد أنّه وحيٌ من الله، عدم الخلط بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، مقصد الإعجاز الرئيس هو إثبات أنّ القرآن كلام الله وليس التضخم الكمي في وجوه الإعجاز.

كلمات مفتاحية: الضوابط المنهجية، إعجاز القرآن، وجوه الإعجاز، علوم القرآن.

Abstract :

This study aimed at controlling the current phenomena of chaos authoring in Qur'an inimitability, which has led to produce some work that is irrelevant to Qur'an inimitability, through deriving a set of methodological restrictions to control the phenomena in question. The study used the inductive and deductive approaches and revealed some significant findings, such as:

In order to consider any new Qur'an inimitable issues, it must be rooted in the Holy Qur'an, general to all people and challenging their powers and abilities. It is important to distinguish between the evidence showing that the Qur'an is inimitable from that showing it is a true revelation from Allah. There should be no confusion between the scientific exegesis and the scientific inimitability of the Qur'an. Finally, the main aim of studying the Qur'an inimitability is to prove that the Qur'an is the Divine words and not to increase the number of inimitability aspects.

Keywords:

Methodological restrictions, Qur'an inimitability, inimitability aspects, Qur'anic sciences.

مقدمة:

الحمد الله القائل في محكم التنزيل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء: ٨٨]، وصل اللهم وسلّم على نبيك الكريم المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كان القرآن الكريم -وما زال- مكان الصدارة في دراسات العلماء والباحثين؛ لأنّه أصل الإسلام ومصدر التشريع، والمرشد إلى سعادة الدنيا والآخرة.

ولقد أولى العلماء اهتمامًا خاصًا بدراسة ما يتعلق بالقرآن الكريم من علوم، وكان للإعجاز نصيبٌ وافر من هذا الاهتمام. فصنفت الرسائل والكتب بهذا الخصوص، وتباينت الآراء في تعليل إعجاز القرآن بماذا وقع؟ ومن ثم اختلف العلماء في وجوه الإعجاز على آراءٍ شتى.

والمتتبع لأخبار المكتبة الإسلامية -هذه الأيام- يلحظ كثرة المؤلفات الحديثة في إعجاز القرآن الكريم، خاصة التي تتحدث عن اكتشاف وجوه إعجاز جديدة للقرآن الكريم لم تكن مذكورة من قبل، كالإعجاز: الجغرافي، الغذائي، الفلكي، الرقمي... الخ. بالإضافة إلى ما كان مذكورًا من قبل، كالإعجاز: البياني، الغيبي، العلمي، النفسي، وغيرها مما ذكر العلماء.

إذن والحالة هذه؛ تبرز الحاجة لوجود ضوابط منهجية تضبط الدراسات المتعلقة بإعجاز القرآن الكريم؛ من حيث: تحديد وتعليل أوجه الإعجاز المعتبرة، وتحدُّ من التكلف في الكشف عن وجوه إعجاز جديدة وهي في الحقيقة لا تمتُّ للإعجاز بأيّ صلة، إضافة إلى أنّها تشوش على فهم حقيقة الإعجاز. لذا؛ جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: (**ضوابط منهجية لدراسة وجوه إعجاز القرآن الكريم**)، لمحاولة الكشف عن أبرز العناصر التي يمكن اعتبارها ضوابط منهجية وحدود موضوعية بهذا الخصوص.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في واقع الفوضى التأليفية بموضوع إعجاز القرآن الكريم ووجوهه وما يترتب عليه من ولوج غير المتخصصين في مجال الإعجاز، مما نتج عنه بالضرورة الخلط بين ما يصلح أن يكون وجهًا مُعجزًا نابعًا من ذات القرآن الكريم، وبين ما لا يمتُّ إلى الإعجاز بصلة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. إلقاء الضوء على عشوائية التأليف في وجوه الإعجاز في العصر الحديث، وبيان خطورتها على جوهر إعجاز القرآن الكريم.

٢. وضع ضوابط منهجية لعملية التأليف في وجوه الإعجاز.

٣. بيان أنّ إعجاز القرآن ومعرفة وجوهه علمٌ قائمٌ بحدِّ ذاته، ولا يجوز أن يخوض به إلا أصحاب التخصص من الراسخين في العلم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها محاولة للمساهمة في إبراز ضوابط منهجية، تساعد في ضبط مسار الدراسات المتعلقة في الإعجاز وإبراز وجوهه؛ وبالتالي الحدُّ من الخوض في تعدد أوجه إعجاز متكلفة وغير مرضية.

أسئلة الدراسة:

يؤمل من هذه الدراسة أن تُجيب على الأسئلة التالية:

١. هل توجد حاجة فعليّة لوضع ضوابط منهجية تحدّ من فوضى التأليف في وجوه إعجاز القرآن الكريم؟

٢. هل هناك حاجة عصريّة ودعويّة لتعدد أوجه الإعجاز؟

٣. هل لا يزال علم الإعجاز غضًا وبحاجة إلى دراسات وأبحاث جديدة؟

٤. ألا تكفي وجوه الإعجاز التي قال بها العلماء قديمًا لإثبات أنّ القرآن كـــلام الله تعالى؟

مصطلحات الدراسة:

تتمثل أهم مصطلحات الدراسة بالمصطلحين التاليين: (الضوابط، المنهجية).

الضابط لغةً: اسم فاعل من ضَبَطَ. ومادة (ضبط) في اللغة تتضمن معنى: لزوم شيءٍ لشيء وعدم مفارقته وحفظه بحزم، و"الضَّبْطُ لزوم الشيء وحَبْسُه، والضّبْطُ لزومُ شيءٍ لا يفارقه في كل شيء، وضَبْطُ الشيء حِفْظُه بالحزم"(١). أمّا مفهوم الضابط اصطلاحًا: فقد أطلقه العلماء على عدة أمور، لعل من أقربها انطباقًا على موضوعنا، ما ذكره الفيومي عندما جعل معنى الضابط مرادفًا لمعنى القاعدة؛ حيث قال: "والقاعدةُ في الاصطلاح بمعنى الضابط: وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته"(٢)، وبإمعان النظر في المدلولات المذكورة للفظ (الضابط) لغةّ واصطلاحًا؛ نجد أنّ معنى الضابط، يدورُ حول: اللزوم والحبس والانطباق على جزئيات الأمر المنضبط. وعليه؛ فإنّه يجب مراعاة عنصر اللزوم للضابط وعدم مفارقتة للشيء المراد ضبطه في جميع أحواله، واعتبار ذلك اللزوم هو العنصر الأساس عند اختيار أمرٍ ما ليكون ضابطًا لشيءٍ ما.

أمّا **المنهجية**، فهي: "نسبة إلى المنهج؛ وهو طريقةُ تنظيم المعلومات؛ بحيث يكون عرضها عرضًا منطقيًّا سليمًا، متدرجًا بالقارئ من السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ضبط. الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (د.م، دار الهداية، د.ط،ت)، مادة: ضبط. والأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٢١هـــ)، مادة: ضبط.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ط،ت)، ج٢، ص٥١٠.

المجهول، منتقلًا من المسلمات إلى الخلافيات، متوخيًا في كل ذلك انسجام الأفكار وترابطها"[١].

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحثين على الفهارس والمعاجم المتخصصة في تدوين عناوين الأبحاث والدراسات والكتب والرسائل العلمية، لم يعثروا على دراسة متخصصة متضمنة لموضوع هذه الدراسة سواء من حيث المحتوى أو العنوان، لكن المجال لا يخلو من بعض العناوين المقاربة، والتي خُصصت في الغالب لبيان ضوابط الإعجاز العلمي، مثل: كتاب: (الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة: تاريخه وضوابطه) للشيخ عبدالله بن عبدالعزيز المصلح، وكتاب: (الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة والمسائل الحديثة في العلم والإيمان) لراشد سعيد شهوان، ودراسة بعنوان: (من ضوابط الإعجاز العلمي) للشيخ عبد الله بن محفوظ بن بيه، ودراسة بعنوان: (مفهوم الإعجاز العلمي وضوابط البحث فيه) لسعد الحلبوسي، ودراسة بعنوان: (مُقدّمة حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنّة النبوية) لصفاء علي عباس محمد.

وقد تمّ التركيز في هذه الدراسات وأمثالها على مفهوم الإعجاز العلمي، وأهميته، وآراء العلماء فيه، وبيان بعض ضوابطه، والفرق بينه وبين التفسير العلمي؛ ولم تتطرّق هذه الدراسات إلى بيان حدود وضوابط وجوه الإعجاز بشكل عام، وهناك بحث بعنوان: (ضوابط الإعجاز البياني في القرآن محاولة تأصيلية) لمنصور محمود أبو زينة، حاول فيه الباحث استنباط ضوابط للإعجاز البياني على وجه الخصوص؛ وهكذا يتبين أنّ الدراسات السابقة كانت جزئية، تتعلّق ببيان ضوابط وجه خاص ومحدّد من وجوه الإعجاز، أمّا موضوع هذه الدراسة فيتعلّق بمحاولة بيان حدود وضوابط منهجية لوجوه إعجاز القرآن

(١) أبو سليمان، عبد الوهاب بن إبراهيم، **كتابة البحث العلمي صياغة جديدة**، (بيروت، دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٩٩٦م)، ص٢٨.

بشكل عام وبدون تخصيص؛ وبهذا يتبين الفارق بين هذه الدراسة وسابقاتها.

منهج البحث: اعتمد الباحثون في دراستهم على منهج الاستقراء والاستنباط، حيث تمَّ تتبع أقوال العلماء فيما يتعلق بوجوه الإعجاز وتعريفه قديمًا وحديثًا، ثم استنباط ضوابط لوجوه الإعجاز.

حدود الدراسة: تلتزم الدراسة بحدود أبرز ما قيل في أوجه الإعجاز القرآني –خاصّة في العصر الحاضر–، بدون الالتزام بحدود زمانية أو مكانية بعينها.

خطة الدراسة: بُنيت هذه الدراسة على خطة تكونت من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: جرى فيها التنويه للخلل الحاصل في مسألة تعدد أوجه الإعجاز في الدراسات الحديثة، والحاجة لضبط هذه العملية.

المبحث الأول: تضمن: تعريف الإعجاز والمعجزة ووجوه الإعجاز، وبيان أهمية الإعجاز في الدين، وتاريخ ظهور مصطلح الإعجاز.

المبحث الثاني: جرى فيه إلقاء الضوء على أبرز آراء العلماء المحدثين في وجوه الإعجاز.

المبحث الثالث: اشتمل استنباط وذكر أهم الضوابط المنهجية في دراسة وجوه الإعجاز.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز وأهميته وتاريخه

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز والمعجزة:

الإعجاز في اللغة: من العجز وهو الضعف، تقول: عجزت عن كذا أعجز، والمعجزة مفعلة من العجز: عدم القدرة، وأعجزه الشيء: عجز عنه. ومعنى الإعجاز: الفَوتُ والسَبْقُ، يُقال: أعجزني فلان أي فاتني[١]، والعجز أصله التأخر عن الشيء... وصار في التعارف اسمًا للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة[٢]، والإعجاز في الاصطلاح: هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير[٣]، والإعجاز في الكلام: هو أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[٤].

أمّا المعجزة في الاصطلاح: فهي أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إمّا حسيّة وإمّا عقلية[٥]، ومعجزة النبي: ما أعجز به الخصم[٦]، وأهم عنصر في المعجزة كونها مخالفة للعادة ناقضة لها، كما أشار إلى ذلك الخطابي بقوله: "وليس ينظر في المعجزة إلى عِظَم حجم ما يأتي به النبي ولا إلى فخامة منظره، وإنّما تعتبر صحتها بأَن تكون أمرًا خارجًا عن مجاري العادات ناقضًا لها"[٧].

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، د.ط،ت) مادة: عجز، ج٥، ص٣٦٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، (استانبول: دار قهرمان، د: ط، ١٤٠٦هـ)، ص٤٨٤.

(٣) الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز**، تحقيق: محمد العلمي، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ط،ت)، ج١، ص٦٥.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ)، ص٤٧.

(٥) السيوطي، عبدالرحمن بن محمد، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، الهيئة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م)، ج٤، ص٣.

(٦) الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، (د.م،ط،ت)، ج١، ص٦٦٣.

(٧) الخطابي، حمد بن محمد، **بيان إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله =

إعجاز القرآن الكريم: ما ذكرناه سابقًا يتعلق بمعنى الإعجاز والمعجزة بشكل عام؛ أمّا إعجاز القرآن الكريم بشكل خاص فمعناه: "عجزُ الناس عن أن يأتوا بمثله، فكلمة إعجاز مصدر، وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر إلى فاعله، فكان التقدير: أعجزَ القرآنُ الناسَ أن يأتوا بمثله، ومعنى ذلك أنّ القرآن الكريم دلّ بما فيه من بيانٍ على أنّه من عند الله، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله"(١)، يقول القاضي عبدالجبار: "فمعنى قولنا في القرآن أنّه معجز: أنّه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به"(٢).

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ "معرفة معنى (إعجاز القرآن)، وما هو وكيف كان؛ أمرٌ لا غنى عنه لمسلم ولا لدارس، وشأنه أعظم من أن يتكلم فيه امرؤ بغير تثبت من معناه، وتمكن من تاريخه، وتتبع للآيات الدالة على حقيقته"(٣).

المطلب الثاني: مفهوم وجوه الإعجاز:

لم ينقل عن العلماء تعريفٌ محددٌ لمفهوم (وجوه الإعجاز)، إلا أنّهم نظروا إليها بشكل شمولي عام، يدخل تحته مجموع القضايا التي ورد بها التحدي للثقلين، و لم يستطيعوا أن يأتوا بمثلها. فـ "المقصود بوجوه الإعجاز: الأمور التي اشتمل عليها القرآن، وهي تدلُّ على أنّه من عند الله، وما كان في استطاعة أحدٍ أن يأتي بمثله، وما كان في استطاعة الجنّ والإنس أن يأتوا بمثله"(٤). وعرّفها صالح رضا بقوله، هي: "كلُّ مزية في القرآن خارجة عن طاقة المخلوقين أو علمهم وقت نزول القرآن"(٥). ويرى حسن عتر بأنّ الوجه المعجز

=

وزميله، (مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م)، ص٢٣.

(١) عباس، فضل حسن، **إعجاز القرآن الكريم**، (عمان، دار الفرقان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ)، ص٢٧.

(٢) الهمذاني، القاضي عبد الجبار، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، ج١٦، ص٢٢٦.

(٣) محمود شاكر، **مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي**، ترجمة عبدالصبور شاهين، (دمشق، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م)، ص٢٦-٢٧.

(٤) أبو زهرة، محمد بن أحمد، **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**، (القاهرة، دار العروبة، د.ط، ١٩٦١م)، ص٨٦.

(٥) صالح بن أحمد رضا، **تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنّة النبوية**، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، ندوة العناية =

هو "كل مزيّة في نظم القرآن أو معانيه خارجة عن طاقة المخلوق"[١]. فالوجه الإعجازي الواحد يشبه القاعد العامة، بحيث يصلح أن يندرج تحته أكثر من أمر معجز بينها وحدة موضوعية.

المطلب الثالث: أهمية الإعجاز في الدين:

وللإعجاز أهمية كبرى في الدين، سواء بالنسبة للرسول أم للرسالة أم للمرسل إليهم، ذلك أنّ المعجزة هي الآية الوحيدة التي جعلها الله سبيلًا لتأييد دعوى النبوة وإثباتها لمن جاءت النبوة على يده، فمن خلال المعجزة تكون الثقة بالنبوة وصدق ما يأتي به النبي من دعوة ورسالة، وبذلك يندفع الناس إلى تصديق النبي والانصياع لأمره واتباع رسالته.

وكذلك فإنّ المعجزة أمر رئيس في التمييز بين الدجالين والمشعوذين من جهة، والأنبياء من جهة أخرى، باعتبار أنّ المعجزة لا تكون إلا لنبي، ولا تظهر إلا على يده، وذلك يمنع الفتنة في الدين.

ومما تجدر الإشارة إليه: أنّ الإعجاز ليس مقصودًا لذاته، إنّما المقصود لازمه، وهو التصديق الجازم بنبوة من ظهرت المعجزة على يده، ومن ثمّ الإيمان بمحتوى الرسالة التي بُعث من أجل تبليغها.

لذا؛ فإنّ العبرة ليس بمحاولة الإكثار في عدد وجوه إعجاز القرآن كيفما اتفق، كما هو حاصل هذه الأيام، إنّما العبرة في مسألة وجوه الإعجاز بالكيف لا بالكم.

فيكفي من الإعجاز الكشف عن الحدّ الأدنى الذي ينتج عنه لازمُه، وهو الإيمان بحقيّة الرسالة وصدق الرسول، فأصحاب الفِطَر السليمة والعقول النيّرة مستعدون لقبول الهداية، فينتفعون بهذا الحدِّ الذي فهموه أو أُفهموه بيسر وسهولة دونما حاجة للتمحّل

=

بالسنّة والسيرة النبوية، ١٤٢٥هـ)، ص١٩.

(١) عتر، حسن ضياء الدين، **المعجزة الخالدة**، (بيروت، دار البشائر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م)، ص١٩٢.

والتكلف: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، أمّا المعاندون المستكبرون، فلو كُشف لهم عن أوجه إعجاز بعدد حروف القرآن الكريم، ما آمنوا ولن يؤمنوا: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٣-١٤].

المطلب الرابع: الظهور التاريخي لمصطلح الإعجاز:

إنّ مصطلح الإعجاز لم يُذكر في القرآن الكريم، و لم يتميز في عصر النبوة والصحابة، وإن كان معناه قائمًا معروفًا، فقد روى البخاري أنّ النبيّ ﷺ قال: (ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)[(١)]، "أي: أنّ معجزتي التي تحديت بها، الوحي الذي أنزل عليّ وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح"[(٢)]. قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١] وفي هذا دلالة واضحة إلى أنّ آية النبي ﷺ، التي تقوم مقام آيات السابقين من الأنبياء -عليهم السلام- ومعجزاتهم هي القرآن الكريم، قال القرطبي: "أي: أو لم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز"[(٣)]، ومع عدم ذكر

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، (بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ)، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ج٤، ص١٩٠٥، رقم الحديث: ٤٦٩٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ)، ج٩، ص٦.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، (القاهرة، دار الشعب، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ) ج٣، ص٣٥٥.

مصطلح (إعجاز القرآن) في الآيات القرآنية، إلا أنّ لفظة (عجز) ومشتقاتها؛ قد ذكرت في القرآن بنحو (٢٦) مرة[١].

وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظٌ متضمّنة معنى المعجزة، وذلك نحو: (آية، بينة، برهان)، و"لم يكن لفظ المعجزات موجودًا في الكتاب والسُنّة، وإنّما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]، في العصا واليد"[٢].

وقد مضى عصر النبوة وحتى شطر كبير من عصر العباسيين و لم يتعرض أحدٌ لقضية الإعجاز القرآني، و"الذي يغلب على الظنّ؛ أنّ مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، فنشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء، وهو مصطلح له ما يؤيده في اللغة"[٣]. فقد ثبت عن طريق "استقراء المصادر العلمية الأصيلة، خلو القرن الأول ومعظم الثاني تقريبًا من الدراسات التي تتصل بإعجاز القرآن بهدف الكشف عن مواطن هذا الإعجاز ووجوهه"[٤].

ومن أسباب عدم تعرض الناس في ذلك الوقت لقضية الإعجاز: "أنّ القوم ممن أدركوا النبي ﷺ ومَنْ بعدهم مِنْ السلف كانوا عرب الألسن؛ فأدركوا بفطرتهم السليمة وذوقهم العربي الصحيح بلاغة القرآن وإعجازه؛ فاستغنوا بذلك عن المسألة عن معانيه

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، (القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م)، ص٥٤٨.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، تحقيق: علي حسن ناصر وزملائه، (الرياض، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ)، ج٥، ص٤١٢.

(٣) عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، ص٢٧.

(٤) العمري، أحمد جمال، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس هجري**، (القاهرة، دار المعارف، د.ط،ت)، ص٤٤.

وعن الكلام في إعجازه"[1]، ويغلب الظنُّ أنّ أول ظهور لاستعمال مصطلح الإعجاز، كان عند (إبراهيم بن سيّار النَظّام، توفي ٢٣١هـ)، حين زعم أنّ إعجاز القرآن كان بالصَّرْفَة[2].

ومما سبق يتبين أنّ: مصطلح (إعجاز القرآن) ظهر في كتابات العلماء المسلمين بحدود بدايات القرن الثالث الهجري لحاجة دعت إلى ذلك. وكان أول ظهوره في أوساط علماء الكلام، بقصد الدفاع عن حِقيّة مصدر القرآن، وإثبات صدق النبي ﷺ برسالته.

(١) أحمد سيد محمد عمار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم**، (دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ)، ص٢٧.

(٢) الصَرْفةُ تعني: "أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن، وكانت في مقدورهم، لكنّ عاقهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك، لجاءوا بمثله". ينظر: الزركشي، محمد بن عبدالله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م)، ج٢، ص٩٣-٩٤. والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٤، ص٧. وفضل عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، ص٣٦.

المبحث الثاني: أهم الآراء في وجوه الإعجاز عند العلماء القدامى إجمالًا

إنّ قضية الإعجاز القرآني -كما بينا سابقًا- من القضايا العلمية والدينية الهامة، التي شغلت الفكر الإسلامي على مرّ العصور، ولا زالت تشغله حتى عصرنا الحاضر، وقد تدارسها كثير من العلماء، لغويين ومتكلمين ومفسرين، وكان لكلٍّ منهم رأيٌ ووجهة نظر، بحسب ثقافته ومنهجه ودرجة فهمه. فأفردوا لذلك البحوث والرسائل والكتب، وتعمقوا في دراسة القرآن الكريم دراسةً تحليلية دلالية شاملة، من أجل الوصول إلى تحديد مفهوم إعجاز القرآن الكريم، وبيان الوجه المعتبر فيه.

ومن الجدير بالذكر: أنّ العلماء متفقون على كون القرآن معجزًا، ولكنهم اختلفوا في الوجه المعجز، هل هو واحد أم متعدد؟ وهل هو ذاتي أم خارجي؟ وهل هو في الألفاظ أم في المعاني أم في كليهما معًا؟؛ ولهذا اختلفوا في جهة إعجاز القرآن مع الاتفاق على كونه معجزًا، فقيل: "إنّه ببلاغته، وقيل: بإخباره عن المغيبات، وقيل: بأسلوبه الغريب، وقيل: بصرف الله تعالى العقول عن المعارضة"(١). مما أدى إلى كثرة الأقوال في وجوه الإعجاز وتعددها، وهذه الظاهرة موجودة منذ القِدَم، مما حدا بالإمام (الخطابي، توفي ٣٨٨هـ) أن يُصوِّر لنا هذه الظاهرة بقوله: "قد أكثرَ الناس الكلام في هذا الباب قديمًا وحديثًا، وذهبوا فيه كلَّ مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا عن رِي، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته"(٢).

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ المُحققين من علماء المسلمين -في القديم والحديث- متفقون على إثبات وجه الإعجاز (اللغوي البياني) العائد إلى علو درجة بلاغة نظم القرآن الكريم، لكنهم اختلفوا في الوجوه الإعجازية الأخرى؛ كأخبار الغيب، والإشارات

(١) الأحمد نكري، عبد رب النبي بن عبد رب الرسول، **دستور العلماء**، تحقيق وتعريب: حسن هاني فحص، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م)، ص٩٧.

(٢) الخطابي، **بيان إعجاز القرآن**، ص٢١.

العلمية، والتشريعات، والأثر النفسي، وغير ذلك. فمنهم من رأى أنّها تصلح كلُّها أو بعضها وجوهًا إعجازية للقرآن، ومنهم من رأى عدم صلاحية إدخالها أو بعضها ضمن وجوه الإعجاز، ذكر (السيوطي، توفي ٩١١هـ) أنّ بعض العلماء "أفضى وجوه إعجازه إلى ثمانين"[١]، وقال: "لما ثبت أنّ القرآن معجزة نبينا ﷺ؛ وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز، وقد خاض الناس في ذلك كثيرًا، فبين محسن ومسيء"[٢]. وقد عدّ من وجوه إعجازه ما يقرب من خمسة وثلاثين وجهًا.

وفيما يلي نعرض إجمالًا –دون التعرض للنقد والتفصيل– لأبرز آراء العلماء الأقدمين في وجوه إعجاز القرآن الكريم.

فمنذ البداية كان للمعتزلة النصيب الأوفر في مجال البحث والحديث حول إعجاز القرآن ووجوهه، فقد رأى النظّام أنّ إعجاز القرآن الكريم ليس نابعًا من ذاته، وإنّما جاء إعجازُه بأمرٍ خارجٍ عنه، ألا وهو الصَرْفَة[٣]، والقول بالصرفة ينفي أن يكون إعجاز القرآن ذاتيًا، بل وقع بأمر خارج عن ذات القرآن وطبيعته، لذا فهو قولٌ باطلٌ مردود، وقد ردّ العلماء على النظّام ما خلا بعض المعتزلة ممن وافقه الرأي.

وممن وافق النظّام في نظرية الصرفة (علي بن عيسى الرمانيّ، توفي ٣٨٢هـ)، فقد عدّ في رسالته (النكت) سبعَ وجوهٍ يظهر منها إعجاز القرآن الكريم، أحدها: الصَرفَة. وتلك الوجوه هي:

١. ترك المعارضة مع توفّر الدواعي وشدّة الحاجة.

٢. التحدي للكافة.

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن محمد، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م)، ج١، ص٥.

(٢) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٤، ص٧.

(٣) انظر معناها في الصفحة السابقة..

٣. الصرفة.

٤. البلاغة.

٥. الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية.

٦. نقض العادة.

٧. قياسه بكل معجزة[١].

وللحقيقة؛ فإنّ الرماني يرى أنّ وجه الإعجاز الظاهر في القرآن والأقوى هو الوجه البلاغي، والدليل على ذلك تخصيصه حوالي ٩٠% من رسالته للحديث عن بلاغة القرآن، ولم يتحدّث عن باقي الوجوه الستة التي ذكرها إلا في حدود أقل من ١٠% من مساحة رسالته في الإعجاز.

أمّا (محمد بن إبراهيم الخطابي، توفي ٣٨٨هـ)، فقد تعرّض برسالته (بيان إعجاز القرآن)، بشيءٍ من النقد لما كتبهُ سابقوه حول أوجه إعجاز القرآن، فزيادة على ردِّه القول بالصَرفَة، لم يعدّ الإخبار بالغيب من أوجه الإعجاز، بل هو عنده دليل على صدق النبي ﷺ، قال: "وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان... قلتُ: ولا يشك في أنّ هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن"[٢]، ويرى الخطابي: أنّ إعجاز القرآن الكريم يكمن في تبوئه أعلى درجات البلاغة، فـ"القرآن إنّما صار معجزًا؛ لأنّه جاءَ بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني"[٣]، ومما تميّز به الخطابي بين الأقدمين، أنّه أولَ من قال بالإعجاز التأثيري أو النفسي، فقال:

(١) ينظر: الرماني، علي بن عيسى، **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله وزميله، (مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م)، ص٧٥.

(٢) الخطابي، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٧.

"قلتُ في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذّ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس"(١).

ومن العلماء الأعلام الذين تحدثوا عن الإعجاز (محمد بن الطيب الباقلاني، توفي ٤٠٣هـ)؛ حيث أفرد كتابًا في هذا المضمار أسماه: (إعجاز القرآن)، تحدّث فيه بإسهاب عن جوهر مسألة الإعجاز وما يتعلق بها، وبحسب الباقلاني، فإنّ إعجاز القرآن يظهر من ثلاثة وجوه، وهي: الإخبار بالغيب، أميّة النبي ﷺ، وبلاغة النظم. فقال: "ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز: أحدهما: يتضمن الإخبار عن الغيوب، والوجه الثاني: أنّه كان معلومًا من حال النبي أنّه كان أُميًّا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، والوجه الثالث: أنّه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه"(٢)، ثمّ أخذ يُفصّل في حدود البلاغة وطبقاتها التي بلغ القرآن أعلى درجاتها، مما يعجز العرب عن أن يأتوا بمثله، وهم سادة أهل الأرض في إتقان اللسان العربي، فعجزُ غيرهم من الأمم الأعجمية أولى.

أمّا المُعتزلي القاضي (عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، توفي ٤١٥هـ)، فقد خصّص الجزء السادس عشر من كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للحديث عن الإعجاز وبما يكون، وبالجملة: فقد ردّ القول بالصَرفة مُخالفًا من سبقوه من أئمة المعتزلة، وردّ كذلك القول بالإخبار بالغيب كوجه إعجازي. وركّز بحثه في الإعجاز على فصاحة الكلمة في درج تركيب الجملة العربية، وأنّ فصاحة الكلام لا تظهر إلا من خلال الجهات الثلاث التالية:

"أولًا: اختيار الكلمة نفسها.

ثانيًا: حركة الكلمة من حيث الإعراب.

(١) المصدر نفسه ص٧٠.

(٢) الباقلاني، محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، (القاهرة، دار المعارف)، ص ٣٣-٣٥.

ثالثًا: موقع الكلمة تقديمًا أو تأخيرًا، وتعريفًا أو تنكيرًا، إلى غير ذلك من أساليب"[١].

ثمّ تحطُّ بنا الرحال عند واضع أصول علم البلاغة (عبدالقاهر الجرجاني، توفي ٤٧١هـ)، والذي أودع آراءه في البلاغة والإعجاز كتابيه: (أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز)، وأفرد كتابه: (دلائل الإعجاز) لبيان ما يصلح أن يكون به الإعجاز، وهو النظم.

فبعدَ أن ردّ على القائلين بأنّ إعجاز القرآن قد يكون في أحد وجوه البلاغة الآتية: القوالب اللفظية أو معاني الألفاظ، أو ترتيب الحركات والسكنات، أو حسن ترتيب فواصله، أو خفة جريانه على اللسان، قال: "فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه، لم يبق إلا أن يكون في (النظم)... و(التأليف)"[٢].

فهذه الوجوه المنقولة عن الأقدمين، مما ذكرناه –ومما عدّه السيوطي وغيره– هي عصارة أذهانهم التي أفرزوها في هذا المجال، فكلٌّ منهم أراد أن يخدم القرآن ويدافع عنه بحسب اجتهاده، عن طريق إظهار الحجّة بالوجه أو الوجوه التي تُثبت بوجه قاطع أنّه كلام الله ﷻ، فجزاهم الله خيرًا.

وبالطبع ليس جميع ما جاءوا به من وجوه مقبولًا، فمنها الصواب ومنها ما جانبه، قال السيوطي: "إن كانت بعض الأوجه لا تعدُّ من إعجازه فإنّما ذكرتُها للاطلاع على بعض معانيه"[٣]. وهذه الأوجه جاءت على ألوان شتى كما رأينا: فمن صَرفة النظّام، إلى بلاغة الرمّاني والباقلاني، إلى نظم الخطابي وعبدالقاهر الجرجاني وعبد الجبار الهمذاني،

(١) الهمذاني، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، ج١٦، ص١٩٩.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر بن عبدالرحمن، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م)، ص٣٩١.

(٣) السيوطي، **معترك الأقران**، ج١، ص١١.

وكذلك تأثيره في النفوس وصنيعه في القلوب عند الخطابي أيضًا، وإخباره بالغيب عند بعضهم، إلى الوصول به لدرجة عدم القدرة على وصف ماهية الإعجاز، وإنّما مُعتمد معرفة إعجاز القرآن هو الذوق، كما عبّر عن ذلك (السكاكي، توفي ٥٥٥ه) بقوله: "واعلم أنّ شأن الإعجاز عجيبٌ، يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحَة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا"(١).

فتلك الجهود الخيرة للسابقين، هي محلّ احترام وتقدير، وهي الأصل الذي بنى على ضوئه اللاحقون دراساتهم في مجال الإعجاز، وتبقى هذه الجهود -كذلك- محلًّا للعرض والنقد والقبول والرد، كشأن أيّ عمل بشري، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا من عصم الله.

(١) السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد، **مفتاح العلوم**، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ)، ص٤١٦.

المبحث الثالث: أهم آراء العلماء المُحدَثين في وجوه الإعجاز

وبما أنّ موضوع البحث، يتمحور حول كيفية ضبط الدراسات الحديثة المتعلقة بالكشف عن وجوه الإعجاز وإثباتها في العصر الحديث، سنعرض –بشكل مختصر وشبه إحصائي– لأهم آراء المُحدَثين بهذا الخصوص، وبدون نقد لهذه الآراء أو تعليل، كي نتبيّن حجم المشكلة المتمثلة بكثرة الآراء الحديثة في وجوه الإعجاز، ونقف على مدى الحاجة للاجتهاد في وضع حدود وضوابط لدراسة وجوه الإعجاز، سنبدأ بجهود الشيخ (عبد العظيم الزرقاني، توفي ١٣٦٧هـ) في هذا المجال؛ حيث أوصل أوجه الإعجاز إلى أربعة عشر وجهًا وهي كالتالي:

الوجه الأول: لغته وأسلوبه.

الوجه الثاني: طريقة تأليفه.

الوجه الثالث: علومه ومعارفه.

الوجه الرابع: وفاؤه بحاجات البشر.

الوجه الخامس: موقفه من العلوم الكونية.

الوجه السادس: سياسته في الإصلاح.

الوجه السابع: أنباء الغيب فيه.

الوجه الثامن: آيات العتاب.

الوجه التاسع: ما نزل بعد طول انتظار الوجه. العاشر: مظهر النبي ﷺ عند هبوط الوحي عليه.

الوجه الحادي عشر: آية المباهلة.

الوجه الثاني عشر: تأثير القرآن ونجاحه.

الوجه الثالث عشر: الآيات التي تجرد الرسول عن نسبته إليه.

الوجه الرابع عشر: عجز الرسول ﷺ عن الإتيان ببدل منه[١].

أمّا (مصطفى صادق الرافعي، توفي ١٣٥٦ه) وهو من أوائل من أفردوا الإعجاز بالتصنيف من المعاصرين، فقد قال: "أمّا الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن، وما حققناه بعد البحث، وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وإنضاج الرؤية: أنّه معجزٌ في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه"[٢]، بالإضافة إلى الوجه العام المطلق وهو البياني، ويرى الرافعي أيضًا، أنّ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم: النظام الصوتي الناتج عن الحروف[٣].

وقرّر الدكتور (محمد عبدالله دراز، توفي ١٩٥٨م) أنّ القرآن الكريم معجز من أربعة وجوه: اللغوي، والعلمي، والإصلاحي التهذيبي الاجتماعي؛ بالإضافة إلى ما ذكر من النظام الصوتي أو موسيقى الألفاظ[٤].

وقد أفرد الشيخ (محمد أبو زهرة، توفي ١٣٩٤هـ) كتابًا يتحدّث فيه عن إعجاز القرآن الكريم، أسماه: (شريعة القرآن من دلائل إعجازه)، اعتبر فيه أنّ الإعجاز التشريعي هو الوجه الأقوى في القرآن الكريم، فبعد أن عدد آراء العلماء في وجوه الإعجاز الغيبي والعلمي والبياني، قال: "ونحن نرى أنّ كلَّ ما ذكره العلماء سببًا لإعجاز القرآن، هو بلا ريب من أسبابه، غير أنَّ سببًا واحدًا لم نرَ العلماء قد ذكروه نراه من أقوى الأسباب أو يعدل أقواها إن لم يكن أقواها جميعًا، وبه القرآن يكون معجزًا لكل الناس لا للعرب وحدهم ولا لجيل من الأجيال، بل يكون معجزًا للأجيال كلِّها، ألا وهو شريعة القرآن،

(١) الزرقاني، محمد عبدالعظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص٢٨٨ -٣٠٨.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٢١هـ)، ص١٣١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص١٧٥ - ١٨٠.

(٤) ينظر: دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، (الكويت، دار القلم، د.ط،ت)، ص٧٩، ١٠٢- ١٠٣.

فما اشتمل عليه القران من أحكامه سواء ما كان منها متعلق بالأسرة أو ما يتعلق بالمجتمع أو ما يتعلق بالعلاقة الدولية، فريد في بابه لم يسبقه شرع سابق و لم يلحق بما وصل إليه شرعٌ لاحق"[١].

ومن الذين طرقوا مجال الإعجاز، (عائشة بنت الشاطئ، توفيت ١٤١٩ه) فترى أنّ الإعجاز مقصورٌ على الوجه البياني فقط، أمّا غيره من الوجوه التي ذُكرت، فمرجعها إلى النظم البليغ المعجز الذي نزلت به[٢].

هذا وقد تحدث الأستاذ (محمود محمد شاكر، توفي ١٤١٨هـ) عن الإعجاز أثناء تقديمه لكتاب مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية)، فيرى أنّ الوجه المعتبر في ذلك هو الوجه البياني وحده، أمّا غيره من الوجوه؛ فهي بمعزل عن ذلك، يظهر ذلك من قوله: "إنّ ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب آيات الله في خلقه، كلّ ذلك بمعزل عن التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كلّه، يُعد دليلًا على أنّه من عند الله تعالى"[٣].

أمّا (الطاهر بن عاشور، توفي ١٣٩٤ه) فقد رأى أنّ إعجاز القرآن يتمثّل بأربع جهات:

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتًا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

(١) أبو زهرة، **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**، ص٩-١٠.

(٢) ينظر: بنت الشاطىء، عائشة عبدالرحمن، **الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق**، (د.م، دار المعارف، الطبعة الثانية، د.ت)، ص٩٠.

(٣) شاكر، **مقدمة الظاهرة القرآنية**، ص٣١.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية، مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن، وفي عصور بعده متفاوتة.

الجهة الرابعة: وقد عدّ كثير من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يعدّ جهة رابعة، هي ما عليه من الأخبار عن المغيبات مما دل على أنه منزل من علام الغيوب"[1].

وأوصلها الشيخ (حسن ضياء الدين عتر، ١٤٣٢هـ) في كتابه (المعجزة الخالـــدة) إلى ثمانية أوجه، وهي:

١. الأسلوب البياني.

٢. الإخبار عن الغيب.

٣. الوفاء بكل ما وعد.

٤. سمو التشريع القرآني وشموله.

٥. إعجاز القرآن الخُلقي والاجتماعي.

٦. الإعجاز العلمي.

٧. اتساق نظريات القرآن وأحكامه.

٨. الإعجاز النفسي[2].

ويرى الأستاذ الدكتور (فضل حسن عبّاس، توفي ٢٠١١م) في كتابه (إعجاز القرآن الكريم)، أنّ الوجه الأعم الأمثل في إعجاز القرآن الكريم هو (الوجه البياني)، ولا ضـــير في

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس، الدار التونسية، د.ط، ١٩٨٤م)، ج١، ص١٠٤- ١٠٥.

(٢) ينظر: عتر، **المعجزة الخالدة**، ص١٩٦-١٩٧.

القول بوجوه أخرى لها اعتبارها، كالتشريعي والعلمي. ثم نبّه أنّ كثيرًا مما ذكر من وجوه الإعجاز لا يستحق أن يُذكر وجهًا خاصًا على حِده. فقال: "... رأى بعض العلماء أنّ القرآن معجزةٌ لغويةٌ بيانيةٌ فحسب، وذهب آخرون -وهم الأكثرون- إلى أنّ القرآن معجزةٌ من أكثر من وجه، وهذا الذي اخترناه وأقمنا عليه الأدلة والبراهين، ويقيننا أنّ القرآن معجزة بكل ما تتسع له كلمة الإعجاز، وبكل ما يشتمل عليه القرآن الكريم من مجالات متعددة، ولكننا مع ذلك نرى أنّه لا بدّ من تحديد أوجه الإعجاز الحرية بأن يتحدث عنها المتحدثون؛ حيث أسهب بعض الكاتبين، وهم يتحدثون عن هذه الوجوه، فأوصلها بعضهم إلى نيف وثلاثين وجهًا، ولكن عند التحقيق نرى أنّ أكثرها لا يستحق أن يُذكر وجهًا خاصًا على حدة... ثمّ يستطرد ذاكرًا أوجه الإعجاز المعتبرة لديه بقوله: وعلى هذا فالأوجه التي سنحدثك عنها أربعة:

١. الإعجاز البياني.

٢. الإعجاز العلمي.

٣. الإعجاز التشريعي.

٤. أنباء السابقين وأخبار المستقبل"[(١)].

أمّا صلاح الخالدي فيرى أنّ الوجه المعتبر في الإعجاز هو البياني فقط، فنظر بهذا الخصوص إلى ضابط التحدي والمثلية، يفهم ذلك من قوله: "موضوع التحدي هو البيان القرآني، لأنّ الذي طُلب من الكفار أن يأتوا بمثله هو البيان القرآني، والمثلية في التحدي هي مثلية بيانية... وهذا معناه أنّ مضامين القرآن وموضوعاته لم تكن موضوع التحدي ولم تكن مطلوبة في التحد، ويترتب على هذا أنّها لا ارتباط لها في الإعجاز، أي أنّها ليست وجوهًا في الإعجاز"[(٢)].

(١) ينظر: عباس، **إعجاز القرآن**، ص١٥١ – ١٥٢.

(٢) الخالدي، عبد الفتاح صلاح، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، (عمان، دار عمار، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ)، ص١١٠.

ومن أبرز المسائل التي اختلف العلماء -قديمًا وحديثًا- في اعتبارها داخلة في وجوه الإعجاز أم لا؛ مسألة التفسير العلمي للقرآن، "فذهب بعضهم إلى أنّ القرآن ليس معجزة علمية، ولكنّه معجزة بيانيةٌ فحسب، ومن هؤلاء الإمام (الشاطبي، توفي ٧٩٠هـ) من الأقدمين، والشيخ (محمد حسين الذهبي، توفي ١٩٧٧م)، والشيخ (محمود شلتوت، توفي ١٨٩٣هـ)، والأستاذ (محمود شاكر، توفي ١٤١٨هـ) من المُحدثين، وذهب أكثر العلماء إلى أنّ القرآن معجزة علمية، وإلى أنّه لا مانع من تفسير آياته تفسيرًا علميًا، إذ إنّ آياته فيها من دقائق العلوم ما لا يُحصى، ومن هؤلاء ا(لإمام الغزالي، توفي ٥٠٥هـ)، و(الإمام الرازي، توفي ٦٠٦هـ)، و(السيوطي، توفي ٩١١هـ) من الأقدمين، و(الشيخ محمد عبده، توفي ١٣٢٣هـ)، و(الشيخ محمد رشيد رضا، توفي ١٣٥٤هـ)، و(الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، توفي ١٣٥٦هـ)، و(الشيخ محمد عبدالله دراز، توفي ١٩٥٨م)، والأستاذ عبدالوهاب حمودة و(الأستاذ محمد أحمد الغمراوي، توفي ١٩٧١هـ) من المُحدثين"[١].

ومن "أهم الآراء التي شاعت في هذا العصر: هو إرجاع الإعجاز إلى الوجه العلمي فيه أولًا، ثمّ إلى الوجوه الأخرى بعد ذلك، ومن أبرز أنصار هذا الاتجاه: عبد الرزاق نوفل في كتابه: (محمد رسولًا نبيًا)، وعفيف طبارة في كتابه: (روح الدين الإسلامي)، والدكتور محمد جمال الفندي في: (القرآن والعلم) و(من روائع الإعجاز في القرآن)، والشيخ عبد الحميد الزنداني في كتابه: (التوحيد)"[٢]. ولا ننسى جهود زغلول النجار في مضمار الإعجاز العلمي.

ومن الأمور المستحدثة والخطيرة في هذا العصر، ابتداع وجه إعجازي جديد، ألا وهو (الإعجاز العددي أو الرقمي في القرآن) كما يُسميه أصحابُه، وغالب الذين تكلموا في هذا المنحى ليسوا من أصحاب التخصص الشرعي أو التخصص اللغوي البلاغي، وهذا

(١) عباس، فضل حسن، **غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن**، (عمان، دار النفائس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧هـ)، ص٦٥-٦٦.

(٢) أحمد سيار عمار، **نظرية الإعجاز القرآني**، ص٣٩.

المصطلح الجديد الذي أضافوه لوجوه الإعجاز دون مراعاة حدود وضوابط مرعية؛ وكثيرٌ من نتائج أبحاثه ظاهرة التمحُّل والتكلف ولا تليق بجلال القرآن الكريم. ومن أبرز الذين تبنوا هذا الاتجاه بالكتابة والتأليف: رشاد خليفة في كتابه: (معجزة القرآن الكريم)، وينتمي محمد رشاد خليفة للفرقة البهائية التي تقدس الرقم ١٩ باعتبار عقدي؛ وممن قالوا بالإعجاز العددي عبد الرزاق نوفل في كتابه: (الإعجاز العددي في القرآن الكريم)، والمهندس عدنان الرفاعي في كتابه: (المعجزة)، وباسم جرار في كتابه: (إعجاز الرقم ١٩)، وعمر النجدي في كتابه: (معجزة القرآن الجديدة)، وغيرهم.

والذي نراه هو بطلان القول بالإعجاز العددي، وذلك لعدّة اعتبارات مدعومة بالأدلة والبراهين، تناولها بالتفصيل بعض العلماء المعاصرين الذين تولوا الردّ على هذا الاتجاه، وبينوا في كتبهم وأبحاثهم خطورة القول بالإعجاز العددي، وعدم لياقته بجلال القرآن الكريم.

ومن أهم المآخذ على أصحاب هذا الاتجاه، بناؤه في -الغالب- على تكهنات وتخرصات بغير دليل، بالإضافة للتكلّف والتمحّل الواضح في استنتاجاتهم واستدلالاتهم على كثيرٍ مما ذهبوا إليه.

فغالب الكتب المؤلفة في الإعجاز العددي "تقوم باعتماد شروط توجيهية حينًا وانتقائية حينًا آخر، من أجل إثبات صحة وجهة نظر بشكل يسوق القارئ إلى النتائج المحددة سلفًا، وقد أدت هذه الشروط التوجيهية أحيانًا إلى الخروج على ما هو ثابت بإجماع الأمّة، كمخالفة الرسم العثماني للمصاحف، وهذا ما لا يجوز أبدًا، وإلى اعتماد رسم بعض الكلمات كما وردت في أحد المصاحف دون الأخذ بعين الاعتبار رسمها في المصاحف الأخرى، وأدت كذلك إلى مخالفة مبادئ اللغة العربية من حيث تحديد مرادفات الكلمات وأضدادها"[(١)].

(١) قطنة، أشرف عبد الرزاق، **دراسة نقدية على الإعجاز العددي في القرآن الكريم**، (دمشق، منار للنشر والتوزيع، =

وقد ذكر الدكتور فهد الرومي أمثله على اختيار الدكتور عبد الرزاق نوفل الانتقائي للكلمات حتى يستقيم له التوازن العددي، ومن ذلك قوله: إن لفظ اليوم ورد في القرآن ٣٦٥ مرة بعدد أيام السنة، وقد جمع لإثبات هذا لفظي (اليوم)، (يومًا) وترك (يومكم) و(يومهم) و(يومئذ)؛ لأنّه لو فعل لاختلف الحساب عليه! وكذلك الحال في لفظ (الاستعاذة) من الشيطان ذكر أنه تكرر ١١ مرة، يدخلون في الإحصاء كلمتي (أعوذ) و(فاستعذ) دون (عذت) و(يعوذون) و(أعيذها) و(معاذ الله)"[1].

ولا أدلّ على بطلان دعوى القائلين بالإعجاز العددي؛ من ادعائهم بأنّ قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [النور: ١٠٩]، فيها دليل على وقوع الحدث، وبنفس الزمان والمكان!!. فقد دفعهم الشغف لإثبات دلالة الآية المذكورة على الحدث، بأن اختلقوا بعض الأكاذيب، منها زعمهم بأنّ اسم الشارع الذي يقع في البرجان هو (جرفٍ هار)!!، علمًا بأنّ الواقع المُثبت بالأدلة ينفي وجود ذلك، وهناك الكثير من الأمثلة على بطلان دعوى الإعجاز العددي، نكتفي بهذا القدر للاختصار.

ومن خلال استقراء ما سبق؛ فقد نلاحظ أنّ العلماء المُحدَثين سلكوا أكثر من اتجاه في تحديد وجوه الإعجاز المعتبرة:

- **الاتجاه الأول:** (تجميعي)، يذكر أصحابه وجوه إعجاز كثيرة، كعبد العظيم الزرقاني، وحسن ضياء الدين عتر.

- **الاتجاه الثاني:** يركز على الوجه البياني، ويذكر معه وجوه أخرى، نحو: حقائقه،

=

ط١، ١٩٩٩م)، ص١٩٧.

(١) الرومي، فهد، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٦٩٩ – ٧٠٠.

وأثره، وتاريخه عند الرافعي، والإعجاز العلمي، والتهذيبي الإصلاحي عند دراز، والعلمي، والتشريعي، عند ابن عاشور وفضل حسن عباس.

– **الاتجاه الثالث:** يقصر الإعجاز على الوجه البياني فقط، أمّا الإشارات العلمية وأخبار الغيوب والأحكام وغيرها فهي عند أصحاب هذا الاتجاه ليست من الإعجاز، إنما هي أدلة وبراهين على صدق النبوة، وتبنى هذا الاتجاه: محمود شاكر، وبنت الشاطئ، وصلاح الخالدي، وصبحي الصالح، وعدنان زرزور، وغيرهم.

– **الاتجاه الرابع:** يرى إرجاع الإعجاز إلى الوجه العلمي أولًا، نحو: عبد الرزاق نوفل، ومحمد جمال الفندي، وعبد الحميد الزنداني.

– **الاتجاه الخامس:** أصحاب هذا الاتجاه قسمين:

- قسمٌ يتحدث عن أوجه ضعيفة الصلة بالإعجاز: كالإعجاز الطبي، والروحاني والتأثيري، والإعجاز في علم المواريث، وغيرها.
- قسمٌ يأتي بأوجه باطلة وواضحة الفساد، كالإعجاز العددي الذي قال به: محمد رشاد خليفة وآخرون.

من هنا تبرز شدّة الحاجة لضبط سير الدراسات المتعلقة بالإعجاز القرآني، خاصّةً فيما يتعلّق بوجود ضوابط لدراسة الإعجاز من حيث تحديد الوجوه وتعليلها، وذلك لما رأيناه من اختلاف وجهات النظر في مسألة تعدد وتعليل أوجه الإعجاز.

المبحث الرابع: ضوابط منهجية لدراسة وجوه الإعجاز

سنحاول -إن شاء الله- في هذا المبحث استنتاج بعض الأمور التي تصلح لأن تكون بمثابة مقياس معياري: (ضوابط منهجية عامة لدراسة وجوه الإعجاز)؛ إذ إنّه "لابد للعمل الصحيح أن يكون له ضوابط حتى لا يخرج عن المسار الصحيح الذي يسير فيه، أو الذي يجب أن يسير فيه، وبخاصة إذا كان الأمر متعلقًا بأصول الشريعة الأساسية، وبالأخص الإعجاز الذي نحن بصدده، فإنّه حكمٌ على كتاب الله تعالى"[(١)]؛ فكلُّ علمٍ ليس له ضوابط وقواعد وأصول يضعها أهل الاختصاص والرسوخ في ذلك العلم وفنونه؛ سيكثر مدعوه من جهة، وتكثر أخطاء بعض الكاتبين فيه من جهة أخرى، وفي أهميّة وجود ضوابط لوجوه اعجاز القرآن يقول ابن عاشور: "وإذ قد كان تفصيل وجوه الإعجاز لا يحصره المتأمل، كان علينا أن نضبط معاقدها التي هي ملاكها"[(٢)].

ومن خلال البحث والاستقراء، يمكن تحديد أهم الأمور التي تصلح أن تكون ضوابط لتحديد أوجه الإعجاز المعتبرة بالأمور الآتية:

الضابط الأول: أن يكون وجه الإعجاز ذاتيًا: أي أن يكون الأمر الذي به أعجز القرآن الناس، وصفًا داخليًا نابعًا من ذات القرآن الكريم، كبلاغة ألفاظه وتراكيبه مثلًا؛ حيث "أثبت لنا البحث أن ليس لإعجاز القرآن صلة بسبب خارج عنه، فالإعجاز كامن فيه منبعث منه ومن ذاته، فسبب قصور الفصحاء والبلغاء عن معارضته عائدٌ له بالذات، والعلّة قائمة فيه لا تنفك عنه"[(٣)]. وهذا ما أشار إليه الخطابي بقوله: "وقد استقرينا أوصافه الخارجة عنه، وأسبابه النابتة منه، فلم نجد شيئًا منها يثبت على النظر، أو يستقيم في القياس، ويطَّرد على المعايير، فوجب أن يكون ذلك المعنى مطلوبًا من ذاته، ومستقصىً من

(١) صالح أحمد رضا، **تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنّة النبوية**، ص٤٣.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص١٠٤.

(٣) عتر، **المعجزة الخالدة**، ص١٨٤.

جهة نفسه"[١]؛ فـ"القرآن هو بنفسه الوحي المُدّعى وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي"[٢].

وهذا الضابط يعتبر قيدًا للتحرز من دخول أيِّ أمرٍ خارج عن القرآن الكريم –معنى أو مبنى– ضمن وجوه الإعجاز كالقول بالصَرفة مثلًا، وهو يؤيد الاتجاه القائل بحصر الإعجاز بالوجه البياني اللغوي، قال: (التفتازاني، توفي ٧٩٣هـ): "فوجه الإعجاز أمرٌ من جنس البلاغة والفصاحة لا كما ذهب إليه النَظّام وجمعٌ من المعتزلة أنّ إعجازه بالصَرفة"[٣].

الضابط الثاني: أن يكون وجه الإعجاز متحدى به عامًا منتظمًا جميع سور القرآن:

إنّ التحدي والعموم وصفان ملازمان لوجه الإعجاز المعتبر، أمّا بالنسبة لعنصر التحدي، فيعتبر من أبرز ضوابط الإعجاز، وهو مستمد أصالةً من تعريف المعجزة (أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي...)، وبحسب التعريف: فإنّ عنصر التحدي ملازمٌ لوجه الإعجاز المعتبر ولا ينفك عنه، بل يأتي بالمرتبة الأولى في ضوابط الإعجاز، ثبت ذلك بدلالة كثير من الآيات القرآنية والتي كان من آخرها نزولًا قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[البقرة: ٢٣].

ومما يؤيد اعتبار ضابط التحدي؛ صنيع جُلّ العلماء الذين قصَروا الوجه المعتبر في الإعجاز على الوجه البياني، "وأنّ التحدي إنّما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه"[٤]؛ معللين ذلك بأنّه الوجه الوحيد الذي وقع به التحدي، وجعلوا عدم سريان

(١) الخطابي، **بيان إعجاز القرآن**، ص٢٦.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **تاريخ ابن خلدون**، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م)، ج١، ص١١٩.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص١٠٧.

(٤) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص٩٧.

عنصر التحدي في باقي الوجوه علةً لعدم اعتبارها. قال السخاوي: "ما تضمنه القرآن الكريم من الإخبار عن المغيب فليس ذلك مما تحداهم به"(١)، وهذا يعني أنّ "موضوع التحدي هو البيان القرآني؛ لأنّ الذي طُلب من الكفار أن يأتوا بمثله هو البيان القرآني، والمثلية في التحدي هي مثلية بيانية... وهذا معناه أنّ مضامين القرآن وموضوعاته لم تكن موضوع التحدي ولم تكن مطلوبة في التحدي، ويترتب على هذا أنّها لا ارتباط لها في الإعجاز، إي أنها ليست وجوهًا في الإعجاز"(٢).

ويرى محمود شاكر: أنّ التحدي هو العنصر الرئيس والضابط الأهم في اعتبار الوجه المعتبر في إعجاز القرآن، يظهر ذلك من قوله: "إنّ التحدي الذي تضمنته آيات التحدي... إنّما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه، لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحد بالإخبار بالغيب المكنون ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان"(٣). وقال بنحو هذا كثيرٌ من العلماء المعاصرين، نحو: أحمد أبو حجر، وأحمد سيد عمّار(٤).

أمّا عنصر **العموم**: فالمقصود به عموم زماني وعموم قرآني، فالعموم الزماني هو استمرار الوجه المعجز إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فلا يختفي في أزمنة ويظهر في أزمنة أُخرى، كما قيل في الإعجاز العلمي: أنّه لم يظهر إعجازه إلا في العصر الحديث نتيجة تقدّم العلوم والمخترعات!، أمّا العموم القرآني فالمقصود به أن يعمّ هذا الوجه جميع

(١) السخاوي، علي بن محمد، **جمال القراء وكمال الإقراء**، تحقيق: علي البواب، (مكة المكرمة، مكتبة التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص٤٤.

(٢) الخالدي، **إعجاز القرآن البياني**، ص١١٠.

(٣) ينظر: شاكر، **مقدمة الظاهرة القرآنية**، ص٢٥.

(٤) للاطلاع على أقوالهم بهذا الخصوص، ينظر: أبو حجر، أحمد بن عمر، **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**، (د.م، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ) ص١٣٨. وأحمد سيد عمار، **نظرية الإعجاز**، ص١٢٠.

سور القرآن الكريم، كما يلاحظ في الوجه البياني اللغوي.

وقد أشار كثير من العلماء إلى أهمية لزوم عنصر العموم لوجه الإعجاز، فالعموم الزماني لوجه الإعجاز يقرره الجرجاني بقوله: "الشرط في نقض العادة أن يعمّ الأزمان كلها"(١)، أمّا العموم القرآني فيقرره الخطابي خلال ردّه اعتبار أخبار الغيب وجه من وجوه الإعجاز، معللًا ذلك بعدم عمومه في القرآن كله، فقال: "وزعمت طائفة أنّ إعجازه إنما هو فيما تَضَمّنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله سبحانه ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣]، ونحوها من الأخبار التي صدقت أقوالها مواقع أكوالها، قلتُ: ولا يُشَك في أنّ هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن"(٢).

ويقرّر الدكتور فضل حسن عباس بناءً على ملاحظة عنصر العموم: أن الوجه البياني هو الوجه الأعم والأتم في الإعجاز، أمّا باقي الوجوه -كالغيبي والطبي والتشريعي- فلا تأخذ صفة العموم، فقال: "إنّ أعظم وجوه إعجاز القرآن: الإعجاز البياني؛ لأنّه ينتظم القرآن الكريم كلّه؛ سوره على اختلافها طولًا وقصرًا، أمّا الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك. فأنباء الغيب مثلًا ليست موجودة في كلّ آية من القرآن، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي"(٣).

وبهذا نلاحظ أنّ عنصري العموم والتحدي كانا ذا أهمية بالغة في تحديد وجه الإعجاز المعتبر، وإخراج الأمور التي لم تتصف بهما من وجوه الإعجاز؛ حيث جرت

(١) الجرجاني، عبدالقاهر بن عبد الرحمن، **الرسالة الشافية**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله وزميله، (مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م)، ص١٣٥.

(٢) الخطابي، **البيان في إعجاز القرآن**، ص٢١.

(٣) عباس، **إعجاز القرآن**، ص١٥٥.

مراعاتهما بشكل دقيق كضوابط رئيسة للدلالة على وجه الإعجاز الأمثل، وبيان سبب اختياره ومقومات صلاحيته، ومن هنا يعتبر ضابط العموم والتحدي، من الضوابط المرعية بهذا الخصوص؛ حيث يترتب على عدم اعتباره، دخول ما ليس عامًّا و لم يقع به التحدي في أوجه الإعجاز.

الضابط الثالث: عدم الخلط بين الأدلة على أنّ القرآن معجز، والأدلة التي تضمنها القرآن الكريم وتفيد أنّه وحي من الله تعالى: القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة للنبي ﷺ، وجاء التحدي به للبشر على عدّة مراحل، كان آخرها بأن يأتوا بسورة من مثله: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣]، أي من شبهه، واختُلفَ في الوجه المُتحدى به، و لم يختلف العلماء على أنّ القرآن الكريم معجزٌ من حيث بيانه ونظمه، وذلك لسريان عنصري التحدي والعموم – كما أسلفنا – في هذا الوجه، بشكل ظاهر دون غيره من الوجوه.

أمّا بالنسبة لما تضمنه القرآن الكريم من أخبار غيوب، وإشارات علمية، وتشريعات، وغير ذلك، فقد اختلفت أنظار العلماء اتجاهها؛ ففريق اعتبرها أو بعضها من أوجه الإعجاز، وفريق آخر لم يعتبرها كذلك، ونظر إليها من وجه آخر، على اعتبار أنّها خارجة من إطار التحدي أولًا، و لم تكن عامّة في جميع آيات وسور القرآن كلِّها ثانيًا، واعتبروا أنّ تلك الأمور ليست معجزة بحدّ ذاتها، إنّما هي دليلُ على إثبات المُعجزة، فهي ليست من وجوه إعجاز القرآن الكريم، لكنّها أدلة على إثبات أنّ القرآن كلام الله تعالى. لذا؛ فإنّ التفريق بين هذه الأمور الدقيقة، بحاجة إلى اتباع منهجية واضحة ومنضبطة لدراسة وجوه الإعجاز، تميزُ بين دليل إثبات المعجزة، وبين ما تضمنته المعجزة من أمور.

وإذا نظرنا إلى صنيع علماء العقيدة وأصول الدين، وجدنا أنّهم يتّبعون منهجية واضحة ودقيقة في التفريق بين هذه الأمور؛ فهم يبحثون المعجزة والإعجاز في باب النبوات، أمّا ما تضمنه القرآن من حقائق وأدلة تُثبت ربانية مصدره، وتلفت النظر إلى

وجود الخالق وقدرته وإتقان صنعته، فيبحثونها في باب الإلهيات.

وقد نبّه إلى أهمية هذا الضابط جمعٌ من العلماء في القديم والحديث، فتحدثوا عنه وندبوا إلى اعتباره. فهذا علم الدين (السخاوي، توفي ٦٤٣هـ) يُفرق بين الأمرين المذكورين بشكل دقيق، فيقول: "وأمّا ما تضمنه القرآنُ العزيز من الإخبار عن المغيّب، فليس ذلك مما تحداهم به، ولكنّه دليلٌ على صدق الرسول ﷺ في كونه أُميًّا لا معرفة له ولا يُحسن أن يقرأ، ولا وقف على شيءٍ من أخبار الأمم السالفة... فهذه الحال دليل قاطع بصدقه ﷺ"(١). ويقول في موضع آخر: "فإن قيل: فهل في إقامته البراهين، وإيراد الدلائل على الوحدانية بذكر السماوات والأرض وتصريف الرياح والسحاب، وبأنّه لو كان فيهما إلهٌ آخر لفسدتا، وعلى البعث بإنزال الماء وإحياء الأرض بعد موتها، وبالنشأة الأولى إلى غير ذلك، إعجازٌ؟ قلتُ: الإعجاز من جهة إيراد هذه الحجج في الأساليب العجيبة والبلاغة الفائقة، فهو راجع إلى ما قدّمناه من نظم القرآن وإعجازه، وأمّا كونُها براهين قاطعة، فهو دليل على صدق النبي ﷺ"(٢).

فهذه منهجيةٌ دقيقةٌ من السخاوي –رحمه الله– في التفريق ما بين الإعجاز ودليل صدق النبي ﷺ على إتيانه بالمُعجز. وقد أيّد جمعٌ من العلماء المُحدثين، هذه المنهجية المنضبطة والدقيقة، التي اتبعها الإمام السخاوي في دراسة الإعجاز وتحديد وجوهه. فـ"الخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر، وفي دراسة إعجاز القرآن، قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديمًا وحديثًا، بل أدى هذا الخلط إلى تأخير علم إعجاز القرآن وعلم البلاغة عن الغاية التي كان ينبغي أن ينتهيا إليها"(٣).

وعلى هذا يكون "موضوع العلوم التي اشتمل عليها القرآن، كالعلوم الحديثة،

(١) السخاوي، **جمال القراء**، ج١، ص٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٧.

(٣) ينظر: شاكر، **مقدمة الظاهرة القرآنية**، ص٢٦.

والعلوم التشريعية، وتحقيقه مسائل كانت مجهولة للبشر، وعجز الزمان عن إبطال شيء فيه؛ فهي أمورٌ لا سبيل إلى إنكارها، بل يقوم عليها من الأدلة والبراهين ما لا يحصى، غير أنّها أدخل في معاني الفلسفة القرآنية منها في بلاغة القرآن، وليست هي مادة التحدي لفصحاء العرب، وإنّما تحدى القرآن العرب أن يأتوا بمثل أسلوبه وأن يُعبِّروا بمثل تعبيره، وأن يبلغوا ذروته التي لا تتسامى في التصوير في إعجاز هذا الكتاب الكريم، ولقد فعل سحره هذا فعله في القلوب في أوائل الوحي، قبل أن تتنزل آياته التشريعية، ونبوءاته الغيبية، ونظراته الكلية الكبرى إلى الكون والحياة والإنسان"[1].

لذا؛ فـ"لا يجوز لنا أن نُصنِّف الأدلة على أنّ القرآن من كلام الله تعالى، وعلى أن محمدًا ﷺ رسولٌ مُبَلغٌ عن ربه هذا القرآن، وهي أدلة كثيرة جدًا، ومتجددة كذلك عصرًا بعد عصر –وبخاصة في العصر الحاضر الذي التقت فيه الكثير من الحقائق العلمية مع الإرشادات القرآنية– أقول: لا يجوز أن نصنف هذه الأدلة في باب إعجاز القرآن: ولكن في باب أن القرآن (وحي) وأن محمدًا ﷺ نبي مبلغ عن الله تعالى، خاصة وأنّ الإعجاز مقرون بالتحدي ويعد ثمره له، ومعلوم أنّ الله تعالى لم يتحدَّ الثقلين بمضامين القرآن، أو بما فيه من شريعة أو علوم أو معارف أو أخبار بالغيب"[2].

ومما سبق يتبين لنا: مدى أهمية هذا الضابط، وضرورة مراعاته في عملية الفصل وعدم الخلط بين ما يصلح أن يعتبر وجهًا للإعجاز وما لا يصلح لذلك، مما تضمنته المعجزة نفسها وهي القرآن الكريم، من إشارات علمية وأخبار غيبية وغيرها.

فمراعاة هذا الضابط وتطبيقه في منهجية دراسة الإعجاز وتحديد المعتبر من وجوهه، تختصر كثيرًا من الوجوه التي أُقحمت في الإعجاز وهو منها براء.

(١) صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، (بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٠٨هـ)، ص٣٢١.

(٢) زرزور، عدنان، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، (عمان، دار الأعلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ)، ص٤٧٣ – ٤٧٤.

الضابط الرابع: عدم الخلط بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

فمقتضى هذا الضابط، يوجب الحذر وعدم الخلط بين مصطلح: التفسير العلمي ومصطلح: الإعجاز العلمي؛ حيث إنّ الخلط بينهما، يؤدي إلى اعتبار كثير مما لا يعدو أن يكون تفسيرًا علميًا محضًا لبعض الآيات القرآنية إعجازًا، مما ينتج عنه بالضرورة، إدخال ما ليس من الإعجاز في الإعجاز. وللأسف فقد وقع كثير ممن كتبوا في الإعجاز العلمي – في العصر الحديث– في هذا المحذور، والأمثلة على ذلك تندُّ عن الحصر.

علمًا بأنّ المحققين من العلماء راعوا هذا الضابط، ففرّقوا –بشكلٍّ دقيق– بين مفهوم التفسير العلمي للقرآن، ومفهوم الإعجاز العلمي للقرآن، ومن أبرز العلماء المعاصرين الذين فرقوا بين المصطلحين المذكورين: الدكتور عبد المجيد الزنداني؛ حيثُ عرّف **التفسير العلمي** بأنّه: "الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية، أمّا **الإعجاز العلمي:** فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرًا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ"(١).

وعليه؛ فإنّ الإعجاز العلمي –عند القائلين به– ينحصر في "سبق القرآن الكريم العلماء فيما وصلوا إليه من علوم كونية باشاراته"(٢)، ولا علاقة له بتفسير ما ورد في القرآن من إشارات علمية بما ترجّح من النظريات العلمية التي توصّل إليها العلم الحديث؛ فالتفسير يُقبل فيه الظنّ الراجح، أمّا الإعجاز فلا بدّ فيه من الدليل القطعي.

مما سبق يتبين أنّ: هناك بونًا شاسعًا بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وعليه لابدّ من مراعاة هذا الضابط، كي لا يدخل في الإعجاز، بعض المكتشفات والنظريات

(١) الزنداني، عبد المجيد، **المعجزة العلمية في القرآن والسنّة**، بحث منشور، (رابطة العالم الإسلامي)، ص١٤.

(٢) علي محمد نصر، **القول القويم في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم**، بحث في مؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، (إسلام آباد). ص٤٧.

العلمية الحديثة الموافقة لبعض الإشارات العلمية في القرآن.

الضابط الخامس: عدم إدخال شيء من خواص القرآن وفضائله في وجوه الإعجاز:

ينبغي التفريق بين ما يصلح أن يكون وجهًا معجزًا وبين موضوع خصائص المعجزة أو شروطها، فالقسم الثاني متعلق بشرح تعريف المعجزة مع وجود خلاف؛ هل يدخل موضوع التحدي في التعريف أم لا؟ بدليل وجود تأييد الله نبيه محمد ﷺ بمعجزات لم يقع بها التحدي؛ فقد "أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن وأتوا بوجوه شتى، الكثير منها خواصه وفضائله، مثل الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، وأنّه لا يمله تاليه بل يزداد حبًا له بالترديد، مع أن الكلام يعادي إذا أُعيد، وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل اللّه تعالى بحفظه"(١).

وقد عدّ بعض الكاتبين (تأثير القرآن على النفوس) من وجوه الإعجاز، وأطلق عليه المتأخرون (الإعجاز النفسي)، وأطلق عليه بعضهم (الإعجاز التأثيري؛ والحقيقة أنّ تأثير القرآن على النفوس يُعدُّ من خصائص القرآن لا من وجوه إعجازه! وقد ردّ كثيرٌ من العلماء هذا الوجه و لم يعدّوه وجهًا إعجازيًا مستقلًا، وقد أحسنَ الدكتور عبدالله الجيوسي –رحمه الله– عندما بحث في هذا الموضوع و لم يدخله في باب الإعجاز، وذلك عندما اختار عنوان رسالته للدكتوراه (التعبير القرآني والدلالة النفسية).

وأول من قال بهذا الوجه هو الإمام (الخطابي، توفي ٣٨٨هـ)؛ حيث قال: "قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذّ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس"(٢). وقد كتب فيه على وجه الاستقلال كثيرٌ

(١) الآلوسي، محمود بن عبدالله، **روح المعاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤١٥هـ)، ج١، ص٣٢.

(٢) الخطابي، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ص٧٠.

من المعاصرين، نحو كتاب: (روائع الإعجاز النفسي في القرآن) لعبدالدايم كحيل، ورسالة ماجستير (الإعجاز النفسي في القرآن، دراسة تأصيلية) للباحث عبدالله علي أبو السعود[١]. وغيرها من الكتب والرسائل.

والخلاصة: أنّ تأثير القرآن على النفوس السويّة لا ينكرهُ عاقل، لكنّه من خواص القرآن ومميزاته، ولا يجوز إدخاله في وجوه الإعجاز؛ وقد أثبت القرآن هذه الخاصيّة التأثيرية له على المؤمنين، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٢٣].

الضابط السادس: عدم التكلّف لاستنباط وجوه إعجاز جديدة بأدلة ضعيفة:

الإعجاز ليس مقصودًا لذاته؛ وإنّما المقصود لازمه، وهو الإيمان بأنّ القرآن كلام الله المُنزّل على محمد ﷺ. وهذا قد حصل وتمّ -بحمد الله- منذُ بدايات الدعوة، أخرج البيهقي عن أيوب عن عكرمة قال: "جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليَّ فقرأ عليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢][النحل: ٩٠]، قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ، فقال: والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر"[٣].

نعم قد يقول قائل: إنّ هذا النوع من الإعجاز، وهو الإعجاز البياني، قد كان يدركه العرب الأقحاح الذين لم تتلوث ألسنتهم بالعجمة، و لم تفسد أذواقهم السماعية

(١) نوقشت في الجامعة الأردنية عام ٢٠٠٥م. وقد ذكر الباحث في رسالته آراء المؤيدين والمعارضين للإعجاز النفسي وأدلة كل فريق.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ)، ج٢، ص١٩٩.

للغة العربية الفصحى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الإعجاز البياني لا يكفي لضرورات الدعوة لجميع الأمم الغير ناطقة باللغة العربية؛ إذن والحالة هذه، لا بدّ من البحث عن أوجه إعجاز جديدة، تصلح لإقناع جميع البشر على مدى الزمان والمكان، بأنّ القرآن كلام الله ولا يستطيعه بشر. لذا؛ وجب البحث عن أوجه إعجاز للقرآن تتناسب مع ثقافة كلّ أُمّة، وتتناسب مع المكتشفات العلمية لكلِّ عصر.

بهذه الحجج وغيرها، يتذرع الكثير ممن جاءوا بأوجه إعجازية جديدة، تفتقر إلى مستند قوي يربطها بالإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم، و لم تجرِ وفق ضوابطٍ منهجية عند الاستنباط والاستدلال. وذلك كالإعجاز العددي، والطبي، والغذائي، وغيرها.

من هنا جاءت أهميّة هذا الضابط، فإثباتُ أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، لا يحتاج إلى هذا الكم الهائل مما يُدّعى أنّها وجوه إعجاز، والدليل: أنّ مُعظم من دخل الإسلام خلال الفتوح وبعدها حتى وقتٍ قريب، هم من الشعوب غير الناطقة بالعربية، نحو: الفرس، الكرد، التركمان، الترك، البربر، النوبة، الروم، الهنود، وأغلب شعوب جنوب شرق آسيا؛ فهؤلاء آمنوا بالله ورسوله، وأيقنوا أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، من غير إقناعهم بوجوه إعجاز علمية وعددية وروحية وطبية،... إلخ. بل آمنوا بحقيّة وصفاء عقيدة الإسلام الموافقة للفطرة والمُقنعة للعقل والسهلة في الفهم والتطبيق، آمنوا بالقدوة الحسنة والتطبيق الأمثل للإسلام من قِبل المسلمين وقتذاك.

هذه ضوابطٌ ست، وفقنا الله لاستنباطها بقدر الوسع والطاقة، مستدلين عليها من عدّة وجوه، أهمها: واقع مفهوم المُعجزة ومدى انطباقه على وجوه إعجاز القرآن الكريم. وثنينا بالاستشهاد بأقوال العلماء المُحققين، وهذه الضوابط، حَرِيَّةٌ -عند مراعاتها- بتصحيح مسار بعض الدراسات الحديثة المتعلقة بتحديد أوجه الإعجاز وتعليلها.

وإذا طبقنا الضوابط السابقة على أوجه الإعجاز المحكية عن العلماء قديمًا وحديثًا، فإنّا نجد أنّه لا يصمد أمامها، سوى الوجه اللغوي البياني. فهو عام في جميع سور القرآن،

ومتحدّى به، وهو ذاتيٌّ نابعٌ من داخل القرآن وليس من أمر خارج عنه، وهو غير متكلف بل ظاهر الإعجاز لدى أهل اللسان العربي الفصيح، ولا يعدُّ من خواص القرآن وفضائله.

وإذا نظرنا إلى باقي الوجوه، فسنكتشف عدم انطباق بعض الضوابط أو جلّها عليها. فإذا دققنا –على سبيل المثال– في الوجه الغيبي أو العلمي أو التشريعي، فإنّا سنجدها غير موافقة لضابط التحدي والعموم؛ باعتبار أنها ليست عامّة في جميع سور القرآن و لم يأت بها التحدي. فمثلًا لو أخذنا سورة الإخلاص، فإنّا لا نجد فيها أي حديث عن الغيوب أو التشريعات أو الإشارات العلمية، ومع ذلك فهي معجزة بنظمها وبلاغتها فقط، و لم يقل أحدٌ من العلماء بأنّها خارجة عن دائرة الإعجاز لخلوها من تلك الأمور.

وعليه فإنّ هذه الضوابط جاءت موافقة ومؤيدة بشكل تام للقائلين بقصر الإعجاز على الوجه اللغوي البياني فقط، وهم أصحاب الاتجاه الثالث، ومؤيدة نسبيًا لأصحاب الاتجاه الثاني، الذين يُركزون على الوجه البياني أولًا كوجه إعجاز رئيس، ولا يمانعون من دخول أمور أُخرى في الإعجاز القرآني، كأخبار الغيوب، والإشارات العلمية، والأحكام الشرعية، لكن ليس على وجه التحدي.

الخـــاتمـــة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

في ختام هذه الدراسة توصل الباحثون إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولًا: أهم النتائج:

١.استنبط الباحثون ستة ضوابط منهجيّة لدراسة وجوه الإعجاز، وهي كالآتي: أن يكون وجه الإعجاز ذاتيًا، وأن يكون وجه الإعجاز متحدى به عامًا منتظمًا جميع سور القرآن، وعدم الخلط بين الأدلة على أنّ القرآن معجز والأدلة التي تضمنها القرآن الكريم وتفيد أنّه وحي من الله تعالى، وعدم الخلط بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وعدم إدخال شيء من خواص القرآن وفضائله في وجوه الإعجاز، وعدم التكلّف لاستنباط وجوه إعجاز جديدة بأدلة ضعيفة.

٢.أنّ اعتبار هذه الضوابط، أليق بجلال القرآن الكريم، وأدق في تحديد وجوه الإعجاز المعتبرة، وأبعد عن هذه الفوضى المتكلفة، التي أدت إلى قول بعضهم بأوجه إعجاز لا تمت للإعجاز بأي صلة، بل تشوش حقيقة الإعجاز.

٣.أنّ هذه الضوابط جاءت موافقة ومؤيدة بشكل تام للقائلين بقصر الإعجاز على الوجه اللغوي البياني فقط، وهم أصحاب الاتجاه الثالث، ومؤيدة نسبيًا لأصحاب الاتجاه الثاني، الذين يُركزون على الوجه البياني أولًا كوجه إعجاز رئيس، ولا يمانعون من دخول أمور أُخرى في الإعجاز القرآني، كأخبار الغيوب، والإشارات العلمية، والأحكام الشرعية، لكن ليس على وجه التحدي.

٤.لا يصمد أمام الضوابط السابقة من أوجه الإعجاز سوى الوجه اللغوي البلاغي. فهو عام في جميع سور القرآن، ومتحدّى به، وذاتيٌّ نابعٌ من داخل القرآن وليس خارج عنه، وهو غير متكلف؛ بل ظاهر الإعجاز لدى أهل اللسان العربي الفصيح.

٥.أنّ مفهوم المعجزة اصطلاحًا، يمنع دخول (كل ما ورد في القرآن من الأمور

الغيبية، والمسائل التشريعية، والإشارات العلميّة المتعلقة بـــالأكوان والأنفـــس) في معـــنى التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن أدخلناها في وجوه الإعجاز؛ فعلـــى ســـبيل المجـــاز لا الحقيقة، وإن كانت في حقيقتها تُعدُّ من الأدلة القاطعة على أنّ القرآن كلام الله تعالى.

٦.أنّ الإعجاز ليس مقصودًا بحد ذاته، وإنما المقصود لازمه وهو: إثبات صدق النبي ﷺ في دعوى النبوة، فبحصول اللازم تنتفي الحاجة إلى زيادة البحث والتـــدليل لإثبـــات الملزوم، وهو الإعجاز.

٧.أنّ التعدد الحاصل في وجوه الإعجاز راجع إلى:

أ. اعتبار خواص وفضائل القرآن من وجوه إعجازه.　　ب. فصل الوجه الواحـــد إلى أكثر من وجه.

٨.أنّ المسلمين اليوم ليسوا بحاجة إلى الكشف عن كل هذا العدد من وجوه الإعجاز المتكلفة، لإقناعهم بأنّ القرآن معجز، وأنّ الرسول ﷺ صادق في دعواه، فهـــذا تحصـــيل حاصل بالنسبة لهم، ولا داعي لإقناعهم بقناعاتهم، ففعل ذلك يعد مـــن بـــاب التـــرف الفكري، وإهدار الجهد والوقت فيما لا طائل وراءه.

ثانيًا: أبرز التوصيات:

١. يوصي الباحثون كلًا من الأساتذة وطلبة العلم المتخصصون في مجال التفسير وعلوم القرآن، بتخصيص بعض البحوث والرسائل الجامعية للبحث في موضوع ضوابط الإعجاز ووجوهه المعتبرة.

٢. لفت انتباه القائمين على الأقسام الأكاديمية والمراكز البحثية المتخصصة في علوم القرآن وتدريسه والبحث فيه؛ بإقامة مؤتمرات وندوات لبحث موضوع ضوابط وجوه الإعجاز من قبل العلماء المتخصصين.

وأخيرًا: هذا جهد المقلين، فإن أصبنا فبتوفيق الله تعالى وله الحمد والمنة، وإن أخطأنا فيما ذهبنا إليه أو بعضه فمن أنفسنا ونستغفر الله، وعذرنا في ذلك أننا بشر أولًا، وثانيًا أنّ مسألة تحديد وتعليل أوجه الإعجاز قائمة على الاجتهاد ابتداءً، وكذلك النظر إلى ضوابطها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١. أحمد سيد محمد عمار، (١٤١٨هـ)، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم**، (الطبعة الأولى). دمشق: دار الفكر.

٢. الأحمد نكري، عبد رب النبي بن عبد رب الرسول، (٢٠٠٠م)، **دستور العلماء**، (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

٣. الأزهري، محمد بن أحمد، (١٤٢١هـ)، **تهذيب اللغة**، (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث.

٤. الآلوسي، محمود محمود بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، **روح المعاني**، (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. الباقلاني، محمد بن الطيب، (د.ت)، **إعجاز القرآن**، (د،ط). القاهرة، دار المعارف.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٠٧هـ)، **صحيح البخاري**، (الطبعة الثالثة)، بيروت: دار ابن كثير.

٧. البيهقي، أحمد بن الحسين، (١٤٠٨هـ)، **دلائل النبوة**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤١٤هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، (الطبعة الأولى)، الرياض: دار العاصمة.

٩. الجرجاني، عبد القاهر بن عبدالرحمن، (٢٠٠٤م)، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (الطبعة الخامسة)، القاهرة، مكتبة الخانجي.

١٠. الجرجاني، عبدالقاهر بن عبد الرحمن، (١٩٧٦م)، **الرسالة الشافية**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (الطبعة الثالثة)، مصر: دار المعارف.

١١. الجرجاني، علي بن محمد، (١٤٠٤هـ)، **التعريفات**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (١٣٧٩هـ)، **فتح الباري**، (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

١٣. أبو حجر، أحمد بن عمر، (١٤١١هـ)، **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**، (الطبعة الأولى)، (د.م): دار قتيبة.

١٤. الخالدي، عبد الفتاح صلاح، (١٤٢٤هـ)، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، (الطبعة الثانية)، عمان: دار عمار.

١٥. الخطابي، حمد بن محمد، (١٩٧٦م)، **بيان إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (الطبعة الثالثة). مصر: دار المعارف.

١٦. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (١٩٨٨م)، **تاريخ ابن خلدون**، (الطبعة الثانية). بيروت: دار الفكر.

١٧. دراز، محمد عبد الله، (د.ت)، **النبأ العظيم**، (د.ط). الكويت: دار القلم.

١٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (١٤٠٦هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، (د.ط). استانبول: دار قهرمان.

١٩. الرافعي، مصطفى صادق، (١٤٢١هـ)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية.

٢٠. الرماني، علي بن عيسى، (١٩٧٦م)، **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (الطبعة الثالثة). مصر: دار المعارف.

٢١. الرومي، فهد، (١٤١٤هـ)، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (الطبعة الثانية)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٢. زرزور، عدنان، (١٤٢٥هـ)، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، (الطبعة الأولى). عمان: دار الأعلام.

٢٣. الزرقاني، محمد عبدالعظيم، (١٤١٦هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (الطبعة الأولى). بيروت: دار الفكر.

٢٤. الزركشي، محمد بن عبدالله بن بهادر، (١٩٥٧م)، **البرهان في علوم القرآن**، (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

٢٥. الزنداني، عبد المجيد، **المعجزة العلمية في القرآن والسنّة**، بحث منشور، (رابطة العالم الإسلامي).

٢٦. أبو زهرة، محمد بن أحمد، (١٩٦١م)، **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**، (د.ط)، القاهرة: دار العروبة.

٢٧. السخاوي، علي بن محمد، (١٤٠٧هـ)، **جمال القراء وكمال الإقراء**، (الطبعة الأولى)، مكة المكرمة: مكتبة التراث.

٢٨. السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد، (١٤٠٧هـ)، **مفتاح العلوم**، (الطبعة الثانية)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٩. أبو سليمان، عبد الوهاب بن إبراهيم، (١٩٩٦م)، **كتابة البحث العلمي صياغة جديدة**، (الطبعة السادسة)، بيروت: دار الشروق.

٣٠. السيوطي، عبد الرحمن بن محمد، (١٩٧٤م).**الإتقان في علوم القرآن**، (الطبعة الأولى)، القاهرة: الهيئة المصرية.

٣١. السيوطي، عبد الرحمن بن محمد، (١٩٨٨م)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٢. بنت الشاطىء، عائشة عبدالرحمن، (د.ت). **الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق**، الطبعة الثانية. (د.م): دار المعارف.

٣٣. صالح بن أحمد رضا، (١٤٢٥هـ)، **تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنّة النبوية**، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد: ندوة العناية بالسنّة والسيرة النبوية.

٣٤. صبحي الصالح، (١٤٠٨هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، (الطبعة السابعة عشرة). بيروت: دار العلم للملايين.

٣٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر، (١٩٨٤م)، **التحرير والتنوير**، (د.ط). (تونس: الدار التونسية.

٣٦. عباس، فضل حسن وابنته سناء، (١٤٢٤هـ)، **إعجاز القرآن الكريم**، (الطبعة الخامسة). عمان: دار الفرقان.

٣٧. عباس، فضل حسن، (٢٠٠٧هـ)، **غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن**، (الطبعة الأولى)، عمان: دار النفائس.

٣٨. عتر، حسن ضياء الدين، (١٩٩٤م)، **المعجزة الخالدة**، (الطبعة الثالثة)، بيروت: دار البشائر.

٣٩. علي محمد نصر، **القول القويم في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم**، بحث في مؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، إسلام آباد.

٤٠. العمري، أحمد جمال، (د.ت)، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس هجري**، (د.ط)، القاهرة: دار المعارف.

٤١. الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، (د.ت)، **بصائر ذوي التمييز**، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية.

٤٢. الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، (د.ت)، **القاموس المحيط**، (د.م،ط).

٤٣. الفيومي، أحمد بن محمد، (د.ت)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية.

٤٤. القرطبي، محمد بن أحمد، (١٣٧٢هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، (الطبعة الثانية)، القاهرة: دار الشعب.

٤٥. قطنة، أشرف عبد الرزاق، (١٩٩٩م)، **دراسة نقدية على الإعجاز العددي في القرآن الكريم**، (الطبعة الأولى)، دمشق: منار للنشر والتوزيع.

٤٦. محمد فؤاد عبد الباقي، (٢٠٠١م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار الحديث.

٤٧. محمد مرتضى، (د.ت)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (د.ط،م)، دار الهداية.

٤٨. محمود شاكر، (٢٠٠٠م)، **مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي**، (الطبعة الرابعة)، دمشق: دار الفكر.

٤٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت)، **لسان العرب**، (د.ط) بيروت: دار صادر.

٥٠. الهمذاني، القاضي عبد الجبار بن أحمد، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**.